بسم الله الرحمن الرحيم

الصَّانِعُ الْمُتْقِنُ وَالْجُنْدِيُّ الْمُرَابِطُ يَدًا بِيَدٍ (١٢ شَوَّالٍ ١٤٤٣هـ)

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لِنُهُوضِ الْأُمَمِ مِنْ سُبَاتِهَا وَتَقَدُّمِهَا بَعْدَ تَخَلُّفِهَا أَسْبَابٌ كَثِيرَةٌ، وَعَوَامِلُ مُتَعَدِّدَةٌ، جَاءَتْ بِبَعْضِهَا أَدِلَّةٌ شَرْعِيَّةٌ صَحِيحَةٌ، وَصَدَّقَ بَعْضَهَا وَاقِعٌ مَلْمُوسٌ، وَاتَّفَقَتْ عَلَى بَعْضِهَا كَلِمَةُ الْعُقَلَاءِ وَالْحُكَمَاءِ، وَحِينَ تَتَّفِقُ النُّقُولُ وَالْعُقُولُ عَلَى أَهَمِّيَّةِ أَحَدِهَا وَضَرُورَةِ حُصُولِهِ فَلَا مَنَاصَ حِينَئِذٍ مِنْ تَحْقِيقِهِ لِمَنْ أَرَادَ النَّجَاحَ وَالْفَلَاحَ، وَإِلَّا كَانَتِ الْأُمَّةُ إِلَى الشَّقَاءِ وَالْخَسَارَةِ أَقْرَبَ. مِنْ تِلْكُمُ الْأَسْبَابِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي لَا يُخْتَلَفُ فِي مَدْحِهَا وَذَمِّ تَرْكِهَا: إِتْقَانُ الْعَمَلِ؛ إِذِ النَّاسُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا يَغْدُونَ وَيَرُوحُونَ، وَيَعْمَلُونَ وَيَكْدَحُونَ، وَيُخَطِّطُونَ وَيُنَفِّذُونَ، وَيُرَاجِعُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَيُتَابِعُونَ ثَمَرَاتِ مَسَاعِيهِمْ، وَمَا لَمْ يَهْتَمُّوا بِإِتْقَانِ أَعْمَالِهِمْ وَالْإِتْيَانِ بِهَا عَلَى الْمَطْلُوبِ، فَإِنَّمَا هُمْ فِي ضَلَالٍ وَسَعْيُهُمْ إِلَى وَبَالٍ.

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ صَنَعَ اللهُ كُلَّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْكَوْنِ بِإِتْقَانٍ، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ هَذَا الْإِنْسَانَ، وَأَمَرَهُ بِالسَّعْيِ فِي مَنَاكِبِهَا وَإِعْمَارِهَا، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِ الْإِحْسَانَ، وَنَهَاهُ عَنِ الْإِفْسَادِ فِيهَا بَعْدَ إِصْلَاحِهَا، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿صُنعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾. وَيَقْرَأُ كَثِيرُونَ هَذِهِ الْآيَاتِ وَأَمْثَالَهَا، وَيَسْمَعُونَ فِيهَا الْأَمْرَ بِالْإِحْسَانِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْفَسَادِ، وَيَمُرُّ بِهِمْ مَدْحُ الْمُحْسِنِينَ وَذَمُّ الْمُفْسِدِينَ، فَيَظُنُّونَ أَنَّهَا إِنَّمَا قُصِدَ بِهَا أَصْحَابُ الْوِلَايَاتِ الْعَامَّةِ وَالْمَنَاصِبِ الْكُبْرَى، مِنَ الْحُكَّامِ وَالْقُضَاةِ، وَالْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ، وَيَغْفُلُونَ عَنْ أَنَّ الْإِتْقَانَ وَالْإِحْسَانَ وَرِعَايَةَ الْأَمَانَاتِ، وَالْقِيَامَ بِالْمَسْؤُولِيَّاتِ، مَأْمُورٌ بِهِ فِي كُلِّ عَمَلٍ جَلَّ أَوْ حَقُرَ، وَمُطَالَبٌ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ صَغُرَ أَوْ كَبُرَ، وَأَنَّ الْأُمَّةَ وَالْمُجْتَمَعَ بُنْيَانٌ وَاحِدٌ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُتْقَنًا مُتَّزِنًا، وَفِيهِ لَبِنَةٌ مَائِلَةٌ، أَوْ خَارِجَةٌ عَنْ مَوْقِعِهَا، أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ»، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»، عَنْ عَائِشَةَ ﵂، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ ﷻ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْإِتْقَانَ سِمَةٌ أَسَاسِيَّةٌ فِي الشَّخْصِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ، يُرَبِّيهَا الْإِسْلَامُ فِي كُلِّ عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ، عِبَادَةً كَانَتْ أَوْ مُعَامَلَةً أَوْ سُلُوكًا، وَقَدْ جَاءَتْ نُصُوصٌ شَرْعِيَّةٌ كَثِيرَةٌ تَحُضُّ عَلَيْهِ، وَتَأْمُرُ بِهِ فِي جَوَانِبَ كَثِيرَةٍ، أَمْرًا بِالْإِخْلَاصِ فِي الْعِبَادَةِ وَرِعَايَتِهَا،

وَحَثًّا عَلَى الْإِحْسَانِ فِيهَا وَتَجْوِيدِهَا، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ»، وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ»، وَفِي قِصَّةِ رُؤْيَا عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْأَذَانِ، أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ؛ فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ، فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ»، وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ يَوْمًا، فَذَكَرَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ قُبِضَ فَكُفِّنَ فِي كَفَنٍ غَيْرِ طَائِلٍ، وَقُبِرَ لَيْلًا، فَزَجَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُقْبَرَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهِ، إِلَّا أَنْ يُضْطَرَّ إِنْسَانٌ إِلَى ذَلِكَ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ».

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الْإِحْسَانَ مَطْلُوبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ».

إِنَّهُ لَضَعْفٌ فِي الدِّيَانَةِ، وَخِيَانَةٌ لِلْأَمَانَةِ، وَإِخْلَافٌ لِلْوَعْدِ وَنَقْضٌ لِلْعَهْدِ، أَنْ يَتَوَلَّى الْفَرْدُ عَمَلًا يَعْلَمُ يَقِينًا بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ فِيهِ وَلَا يَجْهَلُهُ، ثُمَّ يَتَبَاطَأُ فِي إِنْجَازِهِ أَوْ يُخِلُّ بِهِ، أَوْ يَتَجَاهَلُ مَسْؤُولِيَّتَهُ وَيُقَصِّرُ فِيهِ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَقْرَأْ قَوْلَ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولًا وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، وَقَوْلَهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وَقَوْلَهُ ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: احْرِصُوا عَلَى إِتْقَانِ الْعَمَلِ وَأَدَائِهِ كَمَا يَجِبُ، وَاجْعَلُوهُ تَرْجَمَةً وَاقِعِيَّةً لِصِدْقِ إِيمَانِكُمْ بِاللهِ، وَابْتِغَائِكُم مَا عِندَهُ، وَاحْذَرُوا مَا بُلِيَ بِهِ بَعضُ الْمُتَشَدِّقِينَ الْيَوْمَ مِنْ كَثْرَةِ الْكَلَامِ وَقِلَّةِ الْعَمَلِ، أَوْ مَا رُزِئَ بِهِ آخَرُونَ مِنْ إِضَاعَةِ أَوْقَاتِ الْعَمَلِ فِي تَصَفُّحِ الشَّبَكَاتِ، أَوْ تَبَادُلِ الْمُرَاسَلَاتِ بِالْجَوَّالَاتِ، فَإِنَّ الْأَمَانَةَ ثَقِيلَةٌ، وَالْمَسْؤُولِيَّةَ عَظِيمَةٌ، ﴿إِنَّا عَرَضنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

إِنَّ الْعَامِلَ مَطْلُوبٌ مِنْهُ إِتْقَانُ عَمَلِهِ وَالْإِحْسَانُ فِيهِ قَدْرَ طَاقَتِهِ، وَعَدَمُ التَّحَجُّجِ بِتَقْصِيرِ غَيْرِهِ أَوْ تَهَاوُنِ مَنْ سِوَاهُ. وَالْعَاقِلُ يَتْبَعُ النَّاجِينَ وَيَأْخُذُ بِطَرِيقِهِمْ لِيَسْلَمَ، وَالْجَاهِلُ مَنْ جَعَلَ إِسَاءَةَ الْآخَرِينَ مَدْخَلًا لِلتَّكَاسُلِ وَالتَّبَاطُؤِ وَبَخْسِ النَّاسِ أَشْيَاءَهُمْ.

أَلَا وَإِنَ مِمَّا بُلِينَا بِهِ فِي سِنِيِّنَا الْمُتَأَخِّرَةِ، فِئَامًا مِنَ الْمُوَظَّفِينَ الْحَمْقَى، الَّذِينَ لَا يُبَالُونَ بِمَا وَقَعُوا فِيهِ مِنْ تَقْصِيرٍ أَوْ تَأَخُّرٍ أَوْ غِيَابٍ،

أَوْ خُرُوجٍ مِنَ دَوَائِرِهِمْ وَمُؤَسَّسَاتِهِمْ قَبْلَ إِنْهَاءِ مَا كُلِّفُوا بِهِ مِنْ عَمَلٍ، وَأَدَاءِ مَا حُمِّلُوهُ مِنْ أَمَانَةٍ، وَحُجَّةُ أَحَدِهِمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ حَقَّهُ كَامِلًا، أَوْ أَنَّ أَجْرَهُ وَرَاتِبَهُ لَا يَكْفِيهِ، أَوْ أَنَّ جِهَتَهُ قَدْ قَصَّرَتْ وَلَمْ تُوَفِّرْ لَهُ كُلَّ مَا يَطْلُبُ، أَوْ أَنَّهُ لَمْ يُعَيَّنْ عَلَى الْمَرْتَبَةِ الَّتِي عُيِّنَ عَلَيْهَا مَنْ قَبْلَهُ. وَلِهَؤُلَاءِ يُسَاقُ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُم أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾، أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ». فَالْمُوَظَّفُ بِقَبُولِهِ الْوَظِيفَةَ وَهُوَ يَعْلَمُ دَرَجَتَهَا وَمِقْدَارَ رَاتِبِهَا يَعْنِي أَنَّهُ مُطَالَبٌ بِكُلِّ مَا يَلْزَمُهُ فِيهَا، وَعَلَى تَقْدِيرِ وُقُوعِ الظُّلْمِ عَلَيْهِ مِمَّنْ فَوْقَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْهُ بِظُلْمِ مَنْ تَحْتَهُ أَوِ الْإِسَاءَةِ إِلَى مَنْ وُلِّيَ أَمْرَهُمْ، وَإِنَّمَا الْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْلُكَ الطَّرِيقَ الصَّحِيحَ لِلتَّغْيِيرِ، وَأَنْ يُعَالِجَ هَذَا الْمَرَضَ بِطَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَسُلُوكِ مَسَالِكِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ وَإِعْطَاءِ الْحُقُوقِ، لَا بِمَعْصِيَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَالدُّخُولِ فِي دَهَالِيزِ الظُّلْمِ وَالْمُرَاوَغَةِ، وَهَضْمِ أَهْلِ الْحُقُوقِ حُقُوقَهُمْ، وَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَكُونَ رَائِدُ الْمَرْءِ فِي ذَلِكَ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»، وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَفِتَنًا وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَاذَا تَأْمُرُ لِمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنَّا؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ». وَأَمَّا مُقَابَلَةُ الْخَطَأِ بِالْخَطَأِ، وَتَبَادُلُ التَّظَالُمِ بَيْنَ الْعِبَادِ، فَإِنَّمَا كُلُّ ذَلِكَ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَزَجٌّ بِالْأُمَّةِ فِي قِطَارِ التَّخَلُّفِ، وَحَبْسٌ لَهَا عَنْ رَكْبِ التَّقَدُّمِ. أَلَا فَمَا أَحْرَى كُلَّ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ مَوْلَاهُ، وَأَنْ يَحْذَرَ أَنْ يَلْقَاهُ وَقَدْ جَعَلَ أَوْقَاتَ عَمَلِهِ فُرْصَةً لِقَضَاءِ شَهَوَاتِهِ، أَوْ وَقَدِ اسْتَغَلَّ مَنْصِبَهُ لِنَيْلِ مَآرِبِهِ، أَوْ وَقَدْ قَصَّرَ فِي خِدْمَةِ مَنْ وُلِّيَ أَمْرَهُمْ، أَوْ وَقَدْ هَضَمَ مَنْ تَحْتَ يَدِهِ حُقُوقَهُمْ أَوْ بَخَسَهُمْ أَشْيَاءَهُمْ!

عِبَادَ اللهِ: إِنَّهُ لَمِنْ أَعْظَمِ أَبْوَابِ الْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ مَا قَامَ بِهِ خَوَارِجُ الْعَصْرِ يَوْمَ السَّبْتِ الْمَاضِي السَّادِسِ مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ مِنْ قَتْلِ ضَابِطٍ، وَخَمْسَةَ عَشَرَ جُنْدِيًّا كَانُوا مُرَابِطِينَ لِحِرَاسَةِ مِيَاهِنَا، ثُمَّ أَرْدَفُوا عَلَى ذَلِكَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ الْعَاشِرِ مِنْ شَوَّالٍ فِي هُجُومٍ مُسَلَّحٍ عَلَى نُقْطَةٍ لِحَرَسِ الْحُدُودِ بِالْفَوْجِ الْأَوَّلِ غَرْبِ مَدِينَةِ رَفَحٍ الْمِصْرِيَّةِ بِشَمَالِ سَيْنَاءَ، قَتْلَ خَمْسَةِ جُنُودٍ وَضَابِطٍ وَهُوَ النَّقِيبُ الْبَطَلُ أَحْمَدُ بَسْيُونِيُّ أَبُو الْخَيْرِ الدُّفْعَةُ (١١٠ حَرْبِيَّة). فَتَكُونُ حَصِيلَةُ الْقَتْلَى مِنْ أَبْنَائِنَا الْمُرَابِطِينَ عَلَى الثُّغُورِ فِي هَذَا الْأُسْبُوعِ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ قَتِيلًا، نَرْجُو اللهَ أَنْ يَتَقَبَّلَهُمْ فِي الشُّهَدَاءِ، وَتَبًّا لِيَدِ الْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ، وَكَمَا أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَوَارِجِ: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ». قَالَ الْقَسْطَلَّانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي: «إِرْشَادِ السَّارِي لِشَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِي»: «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ» أَيْ: الْمَوْصُوفِينَ بِمَا ذُكِرَ «لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ» أَيْ: لَأَسْتَأْصِلَنَّهُمْ بِحَيْثُ لَا أُبْقِي مِنْهُمْ أَحَدًا كَاسْتِئْصَالِ عَادٍ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَقْتُلُهُمْ بِالْآلَةِ الَّتِي قُتِلَتْ بِهَا عَادٌ بِعَيْنِهَا، فَالتَّشْبِيهُ لَا عُمُومَ لَهُ. وَقَدْ أَوْرَدَ صَاحِبُ «الْكَوَاكِبِ» سُؤَالًا وَهُوَ: فَإِنْ قِيلَ: أَلَيْسَ قَالَ:

«لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ»، فَكَيْفَ لَمْ يَدَعْ خَالِدًا أَنْ يَقْتُلَهُ وَقَدْ أَدْرَكَهُ؟ وَأَجَابَ: بِأَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ إِدْرَاكَ زَمَانِ خُرُوجِهِمْ إِذَا كَثُرُوا وَاعْتَرَضُوا النَّاسَ بِالسَّيْفِ وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْمَعَانِي مُجْتَمِعَةً إِذْ ذَاكَ فَيُوجَدُ الشَّرْطُ الَّذِي عَلَّقَ بِهِ الْحُكْمَ، وَإِنَّمَا أَنْذَرَ ﷺ أَنَّهُ سَيَكُونُ ذَلِكَ فِي الزَّمَانِ الْمُسْتَقْبَلِ، وَقَدْ كَانَ كَمَا قَالَ ﷺ فَأَوَّلَ مَا نَجَمَ هُوَ فِي أَيَّامِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. اهـ

وَهَا نَحْنُ نَعِيشُ ذَاكَ الزَّمَانَ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَاللَّهُمَّ وَفِّقْ وَلِيَّ أَمْرِنَا لِاسْتِئْصَالِ هَؤُلَاءِ الْخَوَارِجِ الْمَارِقِينَ. أَلَا إِنِّي مُبَشِّرٌ لِأَهْلِ الْقَتْلَى وَمُحِبِّيهِمْ بِمَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ عَنِ الْخَوَارِجِ: «هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللهِ مِنْهُمْ».

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ أَبِي غَالِبٍ قَالَ: رَأَى أَبُو أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رُءُوسًا مَنْصُوبَةً عَلَى دَرَجِ مَسْجِدِ دِمَشْقَ، فَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِلَابُ النَّارِ، شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، خَيْرُ قَتْلَى مَنْ قَتَلُوهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. قُلْتُ لِأَبِي أُمَامَةَ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا حَتَّى عَدَّ سَبْعًا مَا حَدَّثْتُكُمُوهُ. قَالَ أَبُو عِيسَى رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَأَبُو غَالِبٍ يُقَالُ اسْمُهُ: حَزَوَّرٌ، وَأَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ اسْمُهُ: صُدَيُّ بْنُ عَجْلَانَ وَهُوَ سَيِّدُ بَاهِلَةَ. قَالَ الْمُبَارَكْفُورِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تُحْفَةِ الْأَحْوَذِيِّ»: أَيْ رَأَى أَبُو أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رُءُوسَ الْمَقْتُولِينَ مِنَ الْخَوَارِجِ رُفِعَتْ عَلَى دَرَجِ دِمَشْقَ.

وَأَخْرَجَ الْخَلَّالُ فِي كِتَابِهِ «السُّنَّةِ» عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: الْخَوَارِجُ قَوْمُ سُوءٍ، لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ قَوْمًا شَرًّا مِنْهُمْ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الْمُرَابَطَةَ عَلَى ثُغُورِ الْبِلَادِ تُنْمِي لِصَاحِبِهَا عَمَلَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ. أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ، إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يَنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ».

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ: أَنَّ عَيْنًا بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا تَمَسُّهَا النَّارُ. أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ». وَاعْلَمُوا يَا عِبَادَ اللهِ: أَنَّ لَيْلَةً يَحْرُسُ الرَّجُلُ فِيهَا فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ. أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحَةِ»، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِلَيْلَةٍ أَفْضَلَ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ؟ حَارِسٌ حَرَسَ فِي أَرْضِ خَوْفٍ، لَعَلَّهُ أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ».